قســوة القلـــب، وعواملها ، بقلم الشيّخ أحمد العبودي

قســوة القلـــب، وعواملها ، بقلم الشيّخ أحمد العبودي

1

القسوة : مأخوذ من قسوة الحجارة و هي صلابتها ، وتعني غلظ القلب ، وصلابته ، وهو خلة مذمومة لعدم تأثّر صاحبه بالمواعظ والعبر ، فلا يخشع لحق ولا يتأثر برحمة . ويقابله رقة القلب ، ورحمته وتأثره بالعظات واتعاظه بالعبر .

وقد ذم ا□ قسوة القلب في الكتاب المجيد حيث قال تعالى: "أ لم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر ا□ و ما نزل من الحق و لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون"(1).

وقد إهتمت الشريعة الاسلامية بسلامة القلب وحثت عليها في الكثير من الآيات والروايات لما للقلب من

تأثير كبير فقد روي عن النبي(صلى ا□ عليه وآله وسلم) : « في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحت سلم بها سائر الجسد ، وهي القلب » (2) . ولا يقصد بالقلب ذلك الجسم المنوبري الذي يضخ الدم الى أجزاء الجسم كما هو معلوم ، بل يقصد به : الروح الإنسانية التي لها تعلق خاص بالقلب الصنوبري ، وفي حصول صفة التسليم لها تكون صحتها ، وتمرض فيما إذا عرض الطغيان عليها.

وبما إن القلب إمام سائر أعضاء الجسم فإن طاب وسلم سلمت سائر الأعضاء بعدم إرتكابها المعاصي ، وإن فسد القلب فسدت سائر الأعضاء بعصيانها لأحكام ا□ (تعالى) . وهذا هو المراد من قوله عليه السلام : « إذا طاب قلب المرء طاب جسده ، وإذا خبث القلب خبث الجسد » (3) . وكذا من قول علي عليه السلام : « أشد من مرض البدن مرض القلب ، وأفضل من صحة البدن تقوى القلوب » (4) .

ولا يسلم القلب من الأمراض إلا إذا كان مستجيبا ً لروح الايمان عاصيا لأوامر الشيطان كلما أقدم على ذنب ، كما ورد في النصوص : " أن للقلب أذنين ، فإذا هم العبد بذنب قال له روح الإيمان : لا تفعل ، وقال له الشيطان : إفعل "(5) .

ولأن قسوة القلب تحول دون إطاعة روح الايمان وعصيان الشيطان فقد أعتبرت من علامات الشقاء كما روي عن رسول ا□ صلى ا□ عليه وآله: " من علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والاصرار على الذنب "(6ع

(1) الحديد: 16

(2) مشكاة الأنوار ج1 ص195

(3) ميزان الحكمة ج8 ص310

(4) بحار الانوار ج67 ص61

(5) المصدر الاسبق ج8 ص319

(6) بحار الانوار ج67 ص52.

عوامل قسوة القلب:

ولقسوة القلب حسبما ورد في الأدلة الشرعية عوامل وأسباب أهمها:

أولاً: إرتكاب الذنوب:

فقد ورد أن أشد العوامل إفسادا ً للقلب هو إرتكاب الذنوب واقتراف المعاصي كما في "وأن الخطيئة أفسد شيء للقلب . فما تزال به حتى تجعله منكوسا ً "(1) و " وأنه ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب ، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب "(2)

ثانيا ً: طول الأمل:

كما ورد أنّ من جملة كلام ا□ سبحانه وتعالى مع موسى (عليه السلام) : «يا موسى لا تطول في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد»(3).

ثالثا : كثرة الأكل :

فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): "ليس شئ أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة لشيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة " (4). وعن رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله): " لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب يموت كالزرع إذا كثر عليه الماء "(5)

رابعا ً: كثرة الكلام:

فقد روي عن رسول ا□ (صلى ا□ عليه وآله): " لا تكثروا الكلام بغير ذكر ا□، فإن كثرة الكلام بغير ذكر ا□ عليه وآله): " ثلاثة يقسين ا□ قسوة القلب، إن أبعد الناس من ا□ القلب القاسي "(6). - عنه (صلى ا□ عليه وآله): " ثلاثة يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان " (7)

خامسا ً : طرح التراب على ذوي الأرحام:

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): " أنهاكم أن تطرحوا التراب على ذوي الأرحام، فإن ذلك يورث القسوة في القلب، ومن قسا قلبه بعد من ربه "(8).تبع

⁽¹⁾ بحار الانوار ج70 ص55

⁽²⁾ ميزان الحكمة ج8 ص331

⁽³⁾ المصدر السابق ج1 ص95

⁽⁴⁾ و(5)نفس المصدر ص80

⁽⁶⁾و(7)و (8) نفس المصدر ج8 ص332.